مجلة أبوليوس
المجلد 07 العدد 01- جانفي 2020
الصفحات: 61- 77

التعريف في المعاجم وكتب اللغة: (دراسة دلالية)

Definition in Dictionaries, Language books: (Semiotic Study)

أ.د. صبيحة جمعة
المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات بالمهدية.
جامعة المنستير، تونس.
sbiha.djemaa@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/01/25 تاريخ القبول: 2020/03/26 تاريخ النشر: 2020/03/30

ملخص البحث:

تتنزّل مسألة "التعريف" في المعاجم في نقطة التقاطع بين جملة من العلوم ذات الصلة المباشرة باللغة، لعلّ أهمّها حسب تقديرنا علم المصطلح وتحليل الخطاب. فهذان العلمان وغيرهما من علوم اللغة تتقاطع في حيّز البحث عن المعنى و الدلالة إذ المعنى هو الغاية من التفاعل بين الأطراف المتواصلة عبر اللغة سواء بالبثّ أو بالتقبّل. لذا، فـ"المعجميّة" متأكّدة باعتبارها العلم الذي يخصّ " تعريف الكلمات " وحصر دلالاتها، إذ نحتاج الى تحديد دلالات المكوّنات اللفظيّة للخطاب حتى نضبط مقاصد الكلام ونحقّق التواصل تقبّلا أو بثّا. و لكنّ قصور التحديد الدلالي للفظة لإدراك المعنى الكلّي للخطاب جعل المشتغلين في مجالات اللغة، من نحاة وبلاغيين، يواصلون هذا العمل فأخذوا ينشطون في سبيل ضبط الدلالات و تحديد المقاصد عبر السعي الى تدقيق التعريفات. فتعدّدت المسالك واختلفت السّبل بين التركيز على اللفظة في وضعها الانفرادي و بين اعتبار التراكيب النّحويّة التي ترد فيها، وبين السياقات التي تحفّ بها و التي تتّسع أحيانا حتّى تتجاوز الحدود الفعليّة للكلام أي "السياق التركيبي"، إلى "السياقات الخارجية" من اجتماعيّة وثقافية ونفسية وعقدية وغيرها.

الكلمات المفتاحية: الخطاب؛ التعريف؛ الدلالة؛ السياق.

Abstract:

The notion of "definition "has crossed several disciplines having an interest in languages, such as terminology and discourse analysis. These two fields overlap in defining "the terms" as related to semiotics. Actually, meaning stands as the interaction end between means of communication through different types of discourse at the level of reception and utterance. Therefore, it is important to specify the terms that compose the discourse in order to comprehend the meaning of discourse and grasp the speaker's utterances and message.

Given the importance of this topic, several linguists, grammarians, rhetoricians have been working on specifying what a term stands for and on defining what the concept "term" refers to. Researches diverged in focusing upon the term in its isolated occurrence, or by taking into account the grammatical structures with which it occurs. Other researchers are advocating for a broader analysis by taking into account "the external contexts" within which the term occurs in " external contexts ", whether social, cultural, psychological, religious,…contexts.

Keywords: Discourse; Definition; Meaning; Context.

* المؤلف المراسل: صبيحة جمعة: sbiha.djemaa@gmail.com

مقدمة:

يتنزل بحثنا في دائرة المشاغل الفكرية المتعلقة بالدلالة في علاقتها بمسألة تعريف الكلمات في المعاجم وكتب اللغة. والمعنى قرين الكلام فهو المفهوم الجامع للوظيفة اللغوية نعني وظيفة التواصل بتحقيق التفاهم بين مستعملي اللغة الواحدة، الذين تربطهم معرفة معجمية ولغوية مشتركة، على مستوى معاني الكلمات وعلى مستوى استعمال النظام اللغوي المشترك. والكلمة لها معنى أوّليّ، هو مدار علوم المعجميّة وهو المعنى الذي يتعلّق باللفظة وهي منفصلة عن أدنى سياق، ولكنّ الكلمة تمتلك معاني جديدة بتنزيلها في خطاب تواصليّ ما في الاستعمال والسّياق، وتلك المعاني يمكن وصفها بالمعاني العرفيّة أو المعاني الضمنيّة أو ما عبّر عنه الجرجاني ب"معنى المعنى". و الخطاب يتشكّل في نظام من الكلمات تتفاعل فيما بينها لتصير حمّالة معنى . فأوّل حاصل من ذلك النظام " المعنى " وهو المقصد ، مقصد صانع الخطاب يوجّهه الى طرف حضوره متأكّد في واعية المنشئ لأنّ الخطاب لا يضعه صاحبه إلاّ لتوجيهه الى متقبّل افتراضيّ أو فعليّ . فحضور الطرف الثاني متأكّد فيما يمكن اعتباره العمليّة الخطابيّة . و الرابط بين الطرفين هو الرابط النفعيّ باعتبار الدور التواصليّ الاجتماعيّ الذي تقوم به اللغة في مختلف تشكّلاتها أي في مختلف أساليب التعبير التي تتجلّى فيها[1] .

و الدور النفعيّ يتمثّل قبل كلّ شيء في المعنى الذي تحمله الكلمات في مختلف تمظهراتها . وهي تمظهرات يمكن أن تكون موضوع اهتمام يتصل بجماليّات التعبير و بلاغة الكلام . لكن السبب الحامل على إنشاء الخطاب هو النفع و الحاجة قبل كل شيء : نتكلّم لأنّنا نحتاج الى التعبير عمّا يختلج في نفوسنا أو على ما تحتاج إليه عقولنا أو لإفادة غيرنا بما يحتاج من هذا أو ذاك من صنوف النفع . و بما أنّ النفع المباشر يتمثّل في "معنى" محمول من مرسل الى مرسل إليه أو هو معنى يستفيده متقبّل من باث، فإن المعنى يبقى أصلا في عمليّة التواصل عبر الخطاب وتكون الكلمات عناصر في بناء نظام الخطاب. أي أنّ معنى الخطاب أو المقصد منه لا يحصل إلاّ بتآلف معاني الكلمات و تعلّق بعضها ببعض في "نظم" مخصوص كما جاء في مباحث الجرجاني[2].

لذلك لا مناص لباث الخطاب ولمتقبّله من معرفة معجميّة مشتركة تتعلّق بمعاني الألفاظ التي تمثّل المادة التشكيلية للخطاب . لذا رأينا أن نركّز عملنا على تمثّل تلك المعرفة المعجمية الحاصلة في معاني الكلمات أي ما يعبّر عنه لدى المشتغلين على علم المعجميّة ب "التعريفات " . وذاك هو مربط الخيل في مسألتنا من هذا المقال . و ليست هذه المسألة بالأمر الهيّن إذا اعتبرنا مختلف العوامل المؤثّرة في تحديد التعريفات نعني تحديد معاني الكلمات ذاتها فأوّل إشكال نواجهه هو التعريف في حدّ ذاته فنحن نرى ما لا اختلاف حوله أن المعاجم قديمها و حديثها لا تضع تعريفا واحدا للمعجمة الواحدة أي للفظة موضوع التعريف . و كل تعريف يحمل معنى يختلف إن كثيرا أو قليلا عن المعاني المسندة الى اللفظة . ثمّ إنّ تلك المعاني على اختلافها ترد في جمل مختلفة بما فيها من تراكيب و نُظُم وهذا أمر لا يضع حدّا للإشكال و إنّما يفرّعه الى إشكالات أخرى تتجلّى لنا في جملة من التساؤلات : فهل إنّ احتياج واضع المعجم الى استحضار العديد من المعاني للفظة أو المعجمة الواحدة دليل يطمئننا الى صحّة التعريف ؟ معنى ذلك أنّ وجود خمسة تعريفات في خمس جمل يعني ضرورة أنّ تلك اللفظة لا تحتمل إلاّ خمسة

معان ؟ ألا تمثّل ظاهرة المجاز إعلانا عن فشل التحديد وعبثيّة التعريف ؟

و إذا كان المعجميّون يضعون التعريفات على حسب المعاني التي يرصدونها من الاستعمالات الشائعة أو من استعمالات الأفذاذ من الشعراء و الأدباء أو من النصوص المهيمنة كالنصوص الدينية و الحِكم والأمثال فهل يعني ذلك أنّ لتلك الاستعمالات حدودا تقف معها ولا تتجاوزها الى ما هو أبعد ؟

ونتساءل كذلك هل يمكن أن نجد لدى باث الخطاب و لدى متقبّله معرفة معجميّة واحدة أي إدراكا مشتركا لمعاني الكلمات المكوّنة للخطاب سواء في مرحلة إنشائه أو مرحلة تقبّله ؟ أي بتعبير آخر هل يمكن للمعجم بما يمارسه على معاني الكلمات من حصر و تحديد التزاما بالشائع من الكلام أو الفذّ منه أن يوحّد بين ثقافة الباث و ثقافة المتقبّل حتّى يبقى الخطاب واحدا بين الطرفين : الباث و المتقبّل .

ونتساءل أيضا إذا كان المعجم على النحو الذي ذكرنا يحدّد معاني الكلمات باعتبار المشهور أو الفذّ من الكلام . فهل تقف الشهرة و الفذاذة في موقع ثابت ؟ و حتى إذا قبلنا الفكرة الشائعة لدى المشتغلين على الأنشطة المعجميّة و ضعا أو دراسة والتي مفادها أنّ المعجم يرسم جملة من المحطات التي قطعتها معاني الكلمات في تحوّلاتها عبر سيرورتها التاريخية و صيرورتها الدلالية فإنّنا نتساءل آنذاك الى أيّ حدّ يفيد المعجم في ربط الصلة بين نصّ أو خطاب قديم بثّه منشئ منذ قرون و بين متقبّل بعيد الصلة بباثّ ذلك الخطاب مكانا و زمانا ؟

تلك مسألة جابهها البلاغيون و نقاد الأدب في بحوثهم حول المعنى لاسيّما في الخطاب الإبداعي باعتبار اشتغالهم المباشر على النصوص الأدبية حيث يكون التعبير المجازي الباب المشرّع على الخيال باعتبار الخيال الملهم الأساسيّ للشعراء بوجه خاص .

فبحثوا لهم عن مخارج أمينة تمكّنهم من أن يقفوا وسطا بين إكراهات المعنى المعجميّ الحاصل في ثقافتي الباث و المتقبّل و بين انفتاح الخطاب على ما لا حدّ له من وجوه المعاني فسعوا الى البحث عن أكبر قدر ممكن من وجوه توسّع المعاني و تلوّن الدلالات بما لا يميت الخطاب في ضرورة الحصر ولكنّه يكبح جماح ثورته و منزع تحرّره الى حدّ علّهم يجدون قواعد لضمان قدر من الوسطيّة بين تحوّل المعاني و ثبات الكلمات . لذا ظهرت - بين المشتغلين على الخطاب نحاة و بلاغيين و نقادا- معاركُ رجعوا فيها الى مثبّتات اللغة من قواعد نحوية و معاجم وشواهد أدبية إذ أنّهم على اختلافهم ذاك و ما ترتّب عليه من تفريعات أجمعوا على أنّ البحث في التجاوزات التي يحقّقها المبدعون في صنوف الخطاب لا يمكن أن نتمثّل مدى أبعاد الإبداع لديهم إلاّ بالرجوع الى أصل ثابت في تعريفات المعاجم و قواعد أهل اللغة ، لذا باتت المعاجم رغم الإشكالات التي تحفّ بها لاسيّما في عمليّة تحديد المعاني ووضع التعريفات وسيلة متأكّدة للتعامل مع صنوف النصوص وألوان الخطاب .

إنّ التعريفات موضوع يُعنى بجوهر الكلمات ومعانيها وهو مبحث من مشمولات ما يُسمى اليوم بعلم الدلالة [3]،علما أن دراسة المعنى لم تخل من أي مباحث لغوية سواء أكانت قديمة أو حديثة إذ لا يمكن حسب دي سوسير في إطار حديثه عن الدال والمدلول أن نفصل بين اللفظ ومعناه إذ شبه اتحاد الكلمات و دلالاتها بوجهي الورقة الواحدة .

واهتمام علم الدلالة بمعاني الكلمات يدخل في حقيقة الأمر في الجانب الإبلاغي و ما يتعلق به، إذ في نطقنا لكلمة ما فإننا في ذات الوقت نقوم بنقل دلالة تلك الكلمة الى المتلقي حتى يتم استيعابها وفهمها ورفع العجمة عنها ، وبذلك تحصل عملية التواصل

التي هي من خصائص تعريف اللغة إذ أن "الدراسة اللسانية لا تقف عند تشخيص الحدث و بلوغ وظيفته ثم بتحقيق مردوده عندما يولد رد الفعل المنشود، وهكذا يكون علم اللسان اللغة في مظهرها الأدائي ومظهرها الإبلاغي وأخيرا في مظهرها التواصلي"[4]. إن فاعلية الخطاب بين المتخاطبين لا يمكن أن تحصل إلا إذا وجدت بين أطرافه ثقافة" دلالية " لا يمكن أن تتحقق إلا بمعرفة مشتركة لدلالات الكلمات و التراكيب من خلال المعاجم وكتب اللغة التي حوتها وتناولتها في ديناميكية الاستعمال، إذ ما يميز البحث الدلالي هو تناوله بالدراسة معاني الكلمات والتراكيب مما جعل مجال البحث الدلالي يتسع، مع العلم أن العلماء العرب القدامى حققوا سبقا في ذلك المجال إذ ظهر لغويون كثيرون من نحاة و بلاغيين و معجميين و مفسرين ...نظروا في قضية "المعنى" ووضعوا بحوثا مختلفة استنبطوا من خلالها القواعد و أصبحت تلك البحوث مرجعا لكل من يروم البحث في الدلالة.

إن أولى اهتمامات العرب القدامى بالمعنى كانت مرتبطة بفهم القرآن و ذلك "بتذليل معانيه واستنباط دلالاته واقتباس سننه في الإنشاء والتعبير" [5] و لذلك جاء الاهتمام بالمعنى و الدلالة في التراث العربي مقترنا بعلوم عدة كالتفسير وفقه اللغة و التأويل و المنطق و الفلسفة وغيرها من العلوم وتطورت مشاغلهم من البحث في دلالة الكلمة الى البحث في دلالة التراكيب مثلما هو الشأن اليوم في علم الدلالة الحديث فقد ارتبط علم الدلالة بنظريات عديدة منها النظرية الإشارية و النظرية السلوكية و النظرية البراغماتية و غيرها مما يجعلنا نقر بأن الدلالة عنصر مهم في مختلف عمليات التواصل .

لذلك جاءت المشاغل الدلالية وأهمها "التعريفات" موزعة قديما في مصنفات عدة فبعضها وُضع في المعاجم و يخص هذا الأمر الكلمات ودلالاتها و البعض الآخر وُضع في كتب اللغة و غيرها ويهم هذا الأمر دراسة التراكيب و دلالتها ، أمّا اليوم فقد أصبحنا نتحدّث مع ظهور ما يُسمّى باللسانيّات الحاسوبيّة و في إطار تحديث اللغة الذي يستدعي استخدام المعاجم و القواميس في شكلها الجديد والمعاصر وذلك تماشيا مع المبتكرات التكنولوجية الحديثة وعلوم الحضارة، عن المعاجم الالكترونية التي أصبحت تقريبا هي الشائعة في الاستعمال .

قضية "التعريف" في المعاجم: المقاييس والاشكاليّات:

إنّ وظيفة رفع العجمة التي يتميز بها المعجم عن بقية الأعمال تنبني أساسا على عنصر التعريف، أي تعريف الكلمات المجموعة أي المادة المعجمية. فعنصر التعريف يعتبر القلب النابض بالنسبة الى المعجم و لذا فإن معالجة العلاقات التي تربط عنصر التعريف ببقية العناصر الأخرى كجمع الكلمات وترتيبها واختيار الجمهور المخصوص بالمعجم، يُعتبر من أهمّ وجوه الاشتغال على المعجم، وسبب التعريفات المعجمية عموما فإن المعجم من مادة (ع ج م) و تعني انعدام الفصاحة و غياب البيان، والأعجم هو الذي لا يُفصح ولا يُبين و"أعجم الكلام" جعله مشكلا لا بيان فيه. و"المعجم" كلمة استخدمت للدلالة على كتاب ترتّب فيه الكلمات المراد تعريفها على حسب منهج في التعريف مخصوص يختلف من معجم الى آخر.

علما أن نشاط المعجمية العربية القديمة مر بمراحل مختلفة[6] ارتبطت أولاها بعناية العرب المسلمين بالقرآن والحديث النبوي وحرصهم على فهمهما والوقوف على غريبهما أي اللفظ الغامض

المستغلق لذلك وُسمت أغلب الكتب التي اهتمت بتعريف الكلمات في تلك الفترة بكتب "الغريب" مثل "غريب القرآن" لعبد الله بن عباس بن عبد المطلب و"غريب الحديث" لأبي عبيد القاسم الهراوي وغيرهما وهي أعمال في المعجمية.

ثم اتجهت المباحث المعجمية الى الاختصاص فظهر ما اصطُلح عليه بـ"الكتاب" وهذه المباحث تشمل مفردات متعلقة بالإنسان و الحيوان و النبات و غيرها ومن تلك المؤلفات نذكر "كتاب الإبل" و"كتاب الطير"... و في مرحلة متقدمة من تاريخ العرب لاسيما منذ القرن الثاني للهجرة تطورت المباحث المعجمية العامة فنجد "كتاب العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ) و كتاب "الجيم" لأبي عمر الشيباني (ت206هـ) و "جمهرة اللغة" لابن دريد(ت321هـ) و غيرها من الكتب مثل(المحيط) و (المحكم) ... حتى ظهرت مباحث توسم بالمعاجم، إذ ظهرت كلمة "معجم" للدلالة على هذا النوع من النشاط أي النشاط المعجمي وذلك في القرن الرابع للهجرة . وحديثا أصبحنا نجد معاجم الكترونية لها قدرة كبرى على استيعاب مختلف المعاجم المصنّفة وعلى تقريب المعلومة.

1 – أهمية مسألة التعريف في المعجمية:

إن الإحاطة بمتعلقات التعريف تجعل الباحث يقع على أهم دولاب من دواليب الآلة المعجمية مما يمكنه من الاطلاع على كوامنه وخفاياه. ويكون في أقرب المواقع التي تمكنه من التصرف في العمل المعجمي و تطويره حسب ما تقتضيه طبيعة الاشتغال. ثم إن التعريف يمثل الجانب العملي في المعجم ولأجله يُفتح المعجم في غالب الأحيان. فالمعاجم يُرجع إليها لاستفسار الكلمات أكثر مما يُرجع إليها للتثبت من وجودها في اللغة. ولذا فإن المعاجم تقاس بأهميتها الاستعمالية النفعية قبل كل شيء وتتأكد الرابطة العضوية التي تشد بقية عناصر المعجم بالتعريف: فعدد الكلمات أو حجم المعجم يتأثر بالتعريف ويؤثر فيه حيث أن الكلمات تقتضي تفسيرا. كما أن التفسير يقتضي أن لا تُدرج إلا الكلمات التي لها مدلول ولذا فإن توفر التعريف يؤهل الكلمة لتتنزل في المعجم، نستثني القواميس التي يهمّها جمع الكلمات سواء إن كانت ذات دلالات محددة أو كانت كلمات مجردة فهي تمثل رصيدا ممكنا قد يستعمله الناس عند الحاجة إليه في المستقبل فتسند إليها الدلالات التي يقتضيها التداول، نذكر على سبيل المثال" كتاب العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي.

و أما عن تأثير التعريف في منهجية ا لقاموس فذلك يتضح في عملية ترتيب المادة. فالتعريف بحكم تنوّعه من خاص الى عام ومن قديم إلى حديث ومن عادي إلى مجازي ومن بسيط إلى مركب يجعل المعجميين ينظمون مادتهم حسب اختيارات أو مقاييس يعتبرون فيها منطقا خاصا: فنجد المعاني مدرجة حسب أقدميتها أو حسب شيوعها أو غير ذلك من المقاييس مع اعتبار جمهور مقصود مسبقا.

2 – مدلول التعريف في المعاجم والإشكاليات المترتبة على ذلك:

عدنا إلى مدلول كلمة " تعريف" في المعاجم التالية :

أ-المنجد 7): فكلمة " تعريف" هي مصدر تدل على التأثير وتدل على نسبة المفعول إلى أصل الفعل. ففعل: عرف :أي علم و عرّفه بفلان :أعلمه باسمه.

ب-المعجم الوسيط(8): عرَف فلان الأمر أي أعلمه به. و التعريف هو تحديد الشيء بذكر خواصه المميزة.

ج- لسان العرب(9): عرّفه الأمر: أي علّمه إياه

د- لاروس (10):

larousse

Definir :indiquer de manière précise- definir quelqu'un :determin er son caractère

Definition :enonciation des caractères essentiels des qualités propres à un etre ou une chose .signification des mots par les caractères qui le désignent.

ونترجمها كالتالي:

عرّف: حدّد بدقة - عرّف شخصًا ما: حدّد شخصيته.

التعريف: ذكر الصفات الأساسية و السمات المميزة لشخص مّا أو لشيء مّا ، ومعنى الكلمات حسب الصفات التي تحدّدها .

نلاحظ إذن أن التعريف عملية فيها إعلام و فيها ضبط و انتقاء، ورغم ما تقدم من تعريفات فإنّ الكلمة تبقى في حاجة الى مزيد التحديد والحصر.

3 – التعريف عنصرا أساسيّا في المعاجم:

إن ارتباط عنصر التعريف ببقية عناصر العمل المعجمي لدليل على أهميته في بناء المعجم بوجه عام. فهو الصلة الأولى التي تحدث بين المعجم والمستفيد منه في بثّ الخطاب وفي قراءته. ولكي يتحقّق الغرض من المعجم باعتباره وسيلة ثقافية متأكّدة لإنشاء النص و تأ ويله ولكي يصبح جهازا فعّالا في الغرض فلابدّ أن تعتبر في وضعه صنوف من النشاط متأكّدة نستحضرها كما يأتي :

أ - علاقة التعريف بعملية جمع الكلمات:

أول مدلول يتبادر إلى ذهن السامع من كلمة "معجم" هو ذلك الكتاب الذي يرجع إليه لفك عجمة كلمة كلّما دق معناها على ذهنه.

فالمعجم هو مجموعة ألفاظ مفسرة أي هي ألفاظ ظفر المؤلف بعناصر دلالية كافية لتوضيحها.

ولذا نرى المعاجم لا تجمع إلا الكلمات التي توفرت لها عناصر التفسير. وعلى حد هذا الاعتبار فإن الكلمات التي لم تعد مستعملة وغاب على الناس تماما معناها، لا يدعو خلو المعاجم منها إلى الاستغراب، فلو وجد التعريف لأدرجت الكلمة مع غيرها في مواد المعجم.

ب - علاقة التعريف بعملية ترتيب الكلمات:

استغل المعجميون تنوع معاني الكلمات فجعلوا منه مقياسا من مقاييس ترتيب مادتهم وتقديم بعضها على بعض. فمنهم من يقدم الكلمات التي شاعت معانيها أكثر من معاني غيرها. ومنهم من يقدم الكلمات المعروفة بأصالتها على غيرها من الكلمات المولدة أو المستحدثة، فحضور التعريف هو الذي يوجه عملية اختيار الكلمات .

ج - علاقة التعريف بغاية إنشاء المعجم وبجمهوره:

تختلف المعاجم باختلاف اتجاهاتها وحسب تنوع جمهور المستهلكين الذين توجه إليهم تلك الأعمال. فإذا كان المعجم خاصا بالطلاب كالمنجد [11] أو المعجم الوسيط[12] فيجب أن تكون التعريفات من الدقة بما يكفي للناشئة حتى تكون المدلولات في أذهانهم واضحة. وإذا كان المعجم موجها إلى جمهور عادي بسيط كـ"لاروس الجيب" الفرنسي[13] فلا ضرر من أن يكون التعريف عاما وسريعا نسبيا. كما تمكن الإشارة في هذا المعنى إلى المعاجم المختصة جدا والتي توافق فئة مخصوصة جدا من الجمهور كالمعاجم العلمية و التاريخية وغيرها.

فعنصر التعريف يمثل إذن العمود الفقري في المعجم وارتباطه ببقية أجزاء العمل المعجمي يجعله بمثابة الركيزة في الهيكل المعجمي. وهذا دليل واضح على أهميته العضوية إلى جانب أهميته العملية إذ أنه في حد ذاته يمثل الغاية الأساسية من إنشاء

المعجم ولتحقيق تلك الغاية لابد من اعتبار الجمهور المعني بالمادة المعجمية تحديدا وتعريفا حتى تحصل الفائدة المحددة مسبقا من قبل المعجمي حسب نوع المتقبلين واعتبارا لطبيعة حاجتهم إليه .

4 – إشكاليات التعريف المعجمي و أثرها في توجيه الخطاب:

أ-اتساع المعارف حسب صنوف المستهلكين: إنّ تعقد الحياة وظهور الطبقية الثقافية وتفاقم الاختصاص أمور تحتم على المعجمي أن يتخير صنفا من الناس أو جمهورا يوجه نحوه عنايته. ولذا فإن ضبط الجمهور يعتبر أول مرحلة في طريق إنجاز معجم مّا وعلى أساس ذلك الاختيار يتم جمع المادة وتخير التعريفات الملائمة لمستوى ذلك الجمهور حسب ما وصلت إليه الاكتشافات العلمية دقة وشمولا. فهل يستفيد مثلا العالم المختص في شؤون الفضاء إذا عُرّفت له الكواكب كما يعرّفها الشعراء الغزليون مثلا؟.

فأول عقبة يجب أن يتجاوزها المعجمي في نطاق التعريف تتمثل في ضبط صنف الجمهور المتقبل وتحديد مدى ملاءمته لطبيعة العمل المعجمي قبل أن يتخير له المادة المعجمية المناسبة جمعا وتنظيما وتعريفا .

ب- نوع الكلمات: إذا ما تجاوز المعجمي مرحلة تحديد نوع الجمهور المستهلك فإنه يواجه صعوبة تتمثل في تنوع الكلمات وتغير معانيها فعملية التعريف مهما اختُلف في وسائل و كيفية إجرائها فهي عملية حصر وتحديد، وبحكم ذلك أي بحكم أن التعريف عملية حصر فإن نجاح المعجمي يصبح رهينا لنوع مجموع الكلمات التي لديه من ناحية ثم رهين مؤثرات تجعل المعاني متحولة الى درجة لا تستقر معها أحيانا على حال :

-الكلمات ذات المدلول الحسي: وتلك يسهل نسبيا تعريفها بضبط خصائصها ضبطا حسيا كأن تقول مثلا : الدراجة: "العجلة يدرج عليها الصبي في أول مشيه_مركبة حديدية ذات عجلتين أو ثلاث تسير بتحريك الرجلين على بدالين" [14] فهذا التعريف يمكن الاطمئنان إليه لأن الخصائص النفعية للدراجة واضحة في التعريف نتيجة كون الفكرة التي أظهرت الدراجة قارة نسبيا في الدال عليها (أي الكلمة) وما على المعجمي إلا أن يضبط الخصائص الفنية والصفات التي باجتماعها يتكون تعريف يكون نسبيا قارا ويراعي في ذلك متطلبات جمهوره.

-الكلمات ذات المدلول المعنوي: يمثل هذا النوع من الكلمات إشكالا لدى كل المعجميين إذ لو طلب منهم أن يعرفوها حسب التعريف الذي ملخصه إثبات حدود قارة ودقيقة للكلمة لا تعريف بدونها، فكيف يستطيع معجمي ما تحديد كلمة "الحركة" مثلا تحديدا دقيقا وقارا أو كلمة "ثقافية" أو كلمة "شوق" أو" فكرة" أو كلمة "سبب" وغيرها. فمثل هذه الكلمات التجريدية ليس من السهل تحديد معانيها كما تتحدد معاني الكلمات ذات الدلالة المادية.

ج- وجود كلمات متعدّدة المعاني بحكم تنوّع السياقات:

يتعلق هذا الأمر أساسا بتلك الكلمات ذات المدلول المعنوي و التي لا يمكن تعريفها إلّا عبر مجموعة أمثلة فيخرج المعجم عمّا جُعل له أي فكّ العجمة على الكلمة، ولا يرى المعجميّ ملاذا سوى في الإكثار من الأمثلة والشواهد علّه أن يقرّب المعنى بأكبر قدر ممكن من فهم مستعملي المعجم. لذا نجد تفاوتا بين عدد الأمثلة التي تعقب الكلمات (المعجمات).

د-الكلمة في غير الموضوع الذي جعلت له بحكم المألوف: نعني في هذه الحالة المجاز فهو يفسد على المعجميين تتبع الكلمة في حدودها المنطقية، فطبيعة

التعريف تستوجب استعمال المنطق. ولكن وضع الكلمة في سياق ما قد يستوجب استعمال الذوق فهل يترك تعريف الكلمة إذا شئت على موضعها المنطقي أم يترك التحديد المنطقي لتعوضه انطباعات؟ فلننظر مثلا الى كلمة "غصن" في قوله:

بنت عشر و ثلاث قسمت بين غصن و كثيب و قمر (بشار بن البرد-الديوان)

هـ- الكلمات المتركبة من مكونات معنوية متعددة:

من أوجه الصعوبة أيضا في نطاق التعريف أن يصطدم المعجمي بكلمات مركبة إن فصلت عن بعضها بعضا قصد إخضاعها إلى المنطق زال معناها لأنها مقيدة بظرف هو الذي جمع بين أطرافها أو طرفيها فتكون كُلا له مدلول. و لا يقوم هذا المدلول إلا إذا وقعت المحافظة على الوحدة العضوية للكلمة مثال ذلك قفا نبكي = في قوله: هذا أشهر من قفا نبكي أو اللاعنف في قوله "زعيم اللاعنف عندما يتحدث عن غاندي إلى آخره،أو كلمة "عبد شمس" فمعناها لا يساوي عندما نجزئ الكلمة إلى "عبد" و"شمس" ف"عبد شمس" كلمة مفردة حتى و إن وردت مركبة ويعرف ابن سينا اللفظ المفرد قائلا:" اللفظ الدال المفرد هو اللفظ الذي يريد الدال به على معناه أن يدلّ بجزء منه البتة على شيء"[15] وهو ما يعبّر عنه اللسانيّون المحدثون بـ" المعنى التعيينيّ") (sens denotatif ومن بينهم اللسانيّ الدلاليّ جون لاينز (john lyons).

و- نشوء الكلمات من معان حادثة و تطوّرها مع الحضارة: من أسباب الصعوبة في إخضاع الكلمات إلى تعريف منطقي دقيق أن الكلمة ظرف لفكرة أو تجربة، والفكرة تنشأ وتتطور وتتغير وتزول حسب المحيط الحضاري ولذا فإن ذلك الظرف الذي هو الكلمة يتحمل تبعة أحوال محتواه ولذا فإن تركزت همة المعجمي على الظرف فإنذ ذلك يعني أن عمله انبنى على حالة من أحوال الكلمة لا على ما يمكن أن يسمى مدلول الكلمة وبناء على ذلك فإن عمله لا يمكن أن يسمى تعريفا ويعتبر ناقصا، ونورد في هذا الصدد المثال التالي: فعل نقد (الدجاج للحبة) – نقد(العملة) – نقد(الأدب) ... أو كلمة "أثاث" فهي في لسان العرب: الأثاث الكثير من المال وقيل المال كله. وفي القاموس: الأثاث هو متاع البيت والمال أجمع واليوم "الأثاث" هو متاع البيت. وعلى من يريد معرفة أسباب تحول الكلمات وتغير معانيها أن يتتبعها عبر أبواب من علوم اللسانيات كاللسانيات التاريخية و اللسانيات الاجتماعية و اللسانيات الجغرافية وغيرها.

وعوامل التطور اللغوي عديدة و يمكن أن نختزلها في التالي:

-عوامل اجتماعية ثقافية : إذ حصل الانتقال، عبر الزمن وبفعل نمو العقل، من الدلالات الحسية إلى الدلالات التجريدية وقد سبق أن بيّنّا أنّ ذلك مرتبط بتطور العقل الانساني[16]

- عوامل نفسية: إذ ترتبط دلالة الكلمة بذوق الإنسان فتغيب كلمات مستكرهة و تعوضها كلمات مستلطفة.

- عوامل لغوية :يحصل تطور في اللغة عن طريق الاقتراض أو عن طريق الاشتقاق و ذلك حسب الحاجة الى ألفاظ جديدة و إلى معان مستحدثة.

- عوامل حضارية : تكنولوجيّة .

استنتاج: إنّ عملية التعريف عملية أساسية في كل عمل معجمي ولكنها عسيرة الى درجة أنها تبدو أحيانا مستحيلة إذا اعتمدنا رأي ليبنيز [17] في قضية التعريف والتي فحواها أنّ التعريف عملية تحديد دقيق جدا أو لا تكون.

و مهما يكن من أمر فقد تجاوز المعجميون الصعوبات وحظيت كل لفظة من مجموع ألفاظ

المعجم بنصيبها من التعريف . وفي هذا ما يبعث على تفحص تلك التعريفات لكي نضبط الوسائل التي استعملت في تذليل الصعوبات.

5- وسائل مجابهة صعوبات التعريف و تذليلها :

إن أوّل إجراء في هذا المعنى تمثّل في عدم تقيد المعجميين بضرورة البحث عن تحديد صارم لدلالات الأشياء وفي هذا الصدد يقول "كانت" إنه لا يمكن أن يتحقق التعريف الدقيق إلا في الحسابيات ويضيف "كانت" أن المعجم لا يستطيع شيئا سوى أن يعرف الأشياء تعريفا تقريبيا. ويدافع عن مبدأ الاكتفاء بالتقريبيات فينقد نظرية "ليبنيز" قائلا:" إن التعريفات الدقيقة جدا تحرم الكلمة من شيء من الحرية تستوجبه الظروف"[18]

و يبدو أن مبدأ التسامح هذا سهّل على المعجميين عملهم، كما سهّله عليهم أيضا تعدد وسائل البحث وأساليبه.

1-تنوع مصادر التعريف:

بصرف النظر عن المعاجم المختصة جدا والتي تستقي مادتها من محيط معين فإن المعاجم العامة والأكثر تداولا تتعدد مصادرها وتتنوع والغاية من ذلك ضمان الشمول والإحاطة بجميع أوجه المعاني التي تستعمل فيها الكلمة . فكلمة (الحجر) مثلا تستعمل في لغة القانون في غير المعنى الذي نجده في لغة العامة أو كلمة "الجذر" لها معنى عند المزارع غير المعنى الذي هو عند عالم الرياضيات أو عند اللغوي والأمثلة كثيرة . فعلى قدر اتساع الجمع تكون الإحاطة أشمل . فـ"لسان العرب" بإمكانه أن يستوعب كل ما جاء في التعريف بمادة (عرف) ولذا فقد أفرد لها حوالي سبع صفحات وأكثر أخذها ممن سبقه من المعجميّين واللغويّين والشعراء ومن القرآن والحديث، في حين حدد "المعجم الوسيط" من مصادره مكتفيا بمراجع أمهات وقد جاء في مقدمته ما يلي :" واستعانت اللجنة في شرحها للألفاظ التي يعتمد عليها وعززته بالاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال العربية والتراكيب البلاغية المأثورة عن فصحاء الكتاب والشعراء وصورت ما يحتاج توضيحه إلى التصوير"[19]

إلا أن هذا الإجراء يجعل اللجنة تستفسر عن كيفية وضعها لمقاييس اختيار المراجع. وعلى كل فإن ما ورد في مادة (عرف) من المعجم الوسيط تقدر بعمودين وربع تقريبا.

نلاحظ أن "المنجد في اللغة والأعلام"[20] لا يشير إلى مراجعه ومادة (عرف) تأتي في حوالي صفحة واحدة منه.

وتثير قضية المراجع مشكلة أخرى إلى جانب المقاييس و ذلك في نطاق استعمال المعجم نفسه. فكثرة المراجع تؤدي حتما إلى تنوع معاني الكلمة بحكم عوامل عديدة. وبما أن المعجم يرجع إليه في غالب الأحيان لفهم كلمة دقّ معناها على ذهن المستعمل، فقد تتداخل المعاني على الباحث لكثرتها وقد لا ينير السياق السبيل فأين الجدوى عند ذلك من استعمال المعجم؟ [21].

فمصادر التعريف تثير إذن حيرة، فإذا ما كثرت فقد تكثر معها المعاني ويزيد المعجم في إعجام الكلمة بدل توضيحها. وإذا ما قلّت فقد تسقط بعض المعاني من المعجم وعند ذلك يكون العمل ناقصا . ومهما يكن من أمر فإنه يمكن الخوض في هذه المسألة انطلاقا من قضية مصادر التعريف ولكن البحث يصبح متعلقا بماهية المعجم ككل وبمدى الاستفادة منه وبكيفية استعماله. ولا نرى ذلك من مشمولات هذا البحث. ورغم ذلك فقد اطمأنّ المعجميّون الى مصادرهم بدرجات متفاوتة .

فكيف استخلصوا منها تعريفاتهم وملؤوا بها مؤلّفاتهم؟

2-ترتيب المعاني حسب مقاييس:

أ-المقياس الزمني: نعني الابتداء بالمعاني القديمة جدا وبالتدرج يصل المعجمي الى المعنى المتداول في عصره (مثال: القطار في المعجم الوسيط :القطار من الإبل : هو عدد منها بعضه خلف بعض على نسق واحد. وقطار :مجموعة من عربات السكة الحديدية تجرها قاطرة).

Bureau وعلى هذا النظام سار من المعاجم الفرنسيّة معجم لاروس ففي مادة

Une grosse étoffe de laine يبتدئ بالمعنى الذي ظهر في القرن السابع عشر و الذي يعني

lieu de travail; table à écrire وتطور مدلولها حسب العصور حتى أصبح معناها اليوم:

ب-مقياس الاستعمال: وهذا النظام أي المقياس الزمني يعارضه "لاروس" إذ لا يرى فيه من جدوى سوى تأريخ معاني الكلمات ولذلك فقد سلك في معاجمه مسلكا آخر أفيد في المعاجم العامة لأنه ينبني على النفعية الآنية بين المعجم والمستهلك ولذا فإنه اعتبر مدى شيوع المعاني فآثر المعاني الأكثر انتشارا على غيرها دون اعتبار كونها أصلية أو مجازية.

والمعاجم العربية الحديثة، بحكم تأثر أصحابها بالمنهجيات الغربية، اعتمدت هي أيضا هذين المقياسين والمتصفح للمنجد أو المعجم الوسيط يلاحظ توفر النزعتين معا. أما الأولى فواضحة جدا وأما الثانية فنستشفها من إيراد المعاني المجازية بعد المعاني العادية اعتبارا أن المجاز أقل شيوعا. ونلاحظ أيضا في هذا الصدد أن "لسان العرب" وإن كان لا يعتمد مقياس أصول المعاني فإنه يقدم المعنى المتعارف على المعنى المجازي.

ج-استعمال المترادفات: كثيرا ما يلتجئ المعجميون الى التعقيب على الكلمة بمجموعة من المترادفات اعتبارا منهم أنها تساعد على حصر معنى الكلمة الأولى مثال ذلك في لسان العرب : صفد أي أوثق و شد و قيد.[22]

ولا يخفى ما في هذه الطريقة من نقائص إذ تنبني على فرضية مطعون جدا فيها و هي الفرضية التي تقول بوجود المترادفات أعني الكلمات ذات المعنى الواحد و الحال أن الكلمة يجدها الإنسان عندما يشعر بالحاجة إليها ولذا فإن كانت كلمة(صفد) مثلا كافية للتعبير عما يريده فلا شيء يدعو إلى إيجاد كلمة ثانية ثم ثالثة للدلالة على نفس المعنى[23] فمسألة المترادفات مردودة حسب هذا الاعتبار.

د- اعتبار العلاقات العضوية بين الكلمات : مثال ذلك كلمة (مستكتب) تعرف مع كتب و كاتب و كتوب ...أو كلمة (قتل) تعرف مع قاتل و استقتل و مقتول ...و بما أن اللغة العربية لغة اشتقاق فإن هذه العملية في حد ذاتها تعتبر أمرا يسيرا ولكن يؤاخذ هذا الأسلوب في التعريف بكونه يؤدي الى تكرار لا حاجة إليه فالقول إن القاتل هو الذي يقوم بعملية القتل لا فائدة منه إذا اعتبرنا أن الصيغة (فاعل) تفيد من قام بالفعل.

هـ - استعمال المقابلات : أي تعريف الكلمة بعكسها مثال الأبيض هو عكس الأسود أو الجبان هو عكس الشجاع . وافتقار هذا الأسلوب إلى الدقة أمر واضح جدا.

3- الالتجاء اضطرارا إلى توسيع دائرة وسائل التعريف :

أ-الأمثلة و الشواهد: تستعمل لأنها تحمل أثر الكلمة فيها و هذا الأثر يقرب المعنى الى ذهن الباحث. ولكن هل تستطيع المعاجم أن تفي بكل الحالات التي تقع فيها الكلمات؟

ب- استعمال الصور: وهذا خارج عن نطاق علوم اللغة و يكفي أنه يحدّ من كونيّة المعجمية حيث يجعلها خاصة بالمبصرين.

4- دور المعجم الالكتروني في تحديث اللغة :

يدعو اليوم اللغويّون العرب إلى تنمية اللغة العربية وتحديثها عبر وسائل لاسيّما منها المعاجم العامّة والخاصّة وذلك بحوسبتها، إذ أنّ حوسبة المعجم تعتبر من أهمّ مجالات علم اللغة الحاسوبي وأكثرها تلبية للمتطلبات العلمية والثقافية " إذ يقدّم الحاسوب خدمات كبيرة للبحث اللغوي والأدبي من خلال المعاونة في إعداد معجمات المدوّنات. والمقصود بمعجمات المدوّنات كلّ الأعمال المعجميّة التي تقوم على الإعداد المعجميّ لمجموع الكلمات الواردة في نصّ محدّد "[24]

تكمن أهميّة الحاسوب في صناعة المعجم في تخزين المادّة المعجميّة وفي خزن النصوص، كما يفيد في تعريف سياقات الاستخدام وفي دراسة الأبنية الصرفية والتصريفية وفي دراسة العلاقات النحوية بين المفردات هذا فضلا عن أنّ الحاسوب يمكّن من صنع معجمات المصطلحات وتجديدها .

إنّ البنية الداخلية لمنظومة اللغة تقوم على محور نظام القواعد الذي يشمل على قواعد الفروع اللغوية المختلفة : الصوتيات والصرف والتراكيب النحوية والدلالة ونظام المعجم الذي يشمل مفردات اللغة ومعانيها والذي له صلة بمختلف فروع اللغة إذ لابدّ " أن يوفي المعجم بمطالب الفروع اللغوية المختلفة : مطالب الصوتيات فيما يخص كيفية نطق الكلمات ومطالب الصرف فيما يخص الاشتقاق والتصريف ومطالب النحو التركيبي فيما يخص أنماط السياق اللغوي الذي ترد به هذه المفردات والذي تحدّد – بناء عليه – معاني الكلمات "[26].

إنّ للمادة المعجمية صلة كبرى بالمعنى وبالدلالة وقابليّة تبدّلها و تغيّرها من استعمال لآخر ومن سياق لآخر.

دور البلاغيين ونقاد الأدب في توسيع دائرة التعريف (في ضوء المباحث اللغوية القديمة و الحديثة):

بين اللغويّن إجماع على أن للكلمة قبل كل شيء معناها الأساسي الأولي وهو المعنى الإدراكيّ التصوّري للكلمة.

فكلمة رجل=+انسان-أنثى+بالغ

بنت=+انسان+أنثى-بالغ [27]

ويعبّر nida عن المعنى الأوّلي بالمعنى المتّصل بالوحدة المعجمية حينما ترد في أقل سياق أي حينما ترد منفردة [28].

يقول سيبويه متناولا الكلمة في وضعها الانفرادي :"فإن رفعت فالذي في نفسك ما أظهرت"[29] ويقول أيضا:" و من المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك:النزوان والنقزان، وانما جاءت هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع" [30]

إلا أنّ دلالات الكلمة وبحكم ارتباطها بمجموعة من العوامل المتحوّلة والمتطورة، فقد عرفت هي أيضا تحوّلا معها "إذ كثير منا يوهمون إذ يظنون أن بعض الألفاظ المتقادمة كانت تعني أمس ما تعنيه اليوم فدلالات الألفاظ في حركة دائمة فمن تعميم الى تخصيص الى رقي الى انحطاط " [31]

إنّ للعوامل الاجتماعية و التاريخية و النفسية وكثرة التداول والحاجة وتطور المجتمع ولوسيلة التفكير و أداته أدوارا كبرى في تحول اللغة، فالفكر في حركة دائبة و ما يجري على الفكر يجري على اللغة.

« The diversity of meaning » يتساءل كوهان في مقدمة كتابه

:هل يتغيّر المعنى؟ فأجاب قائلا: أن نفس الكلمات بسبب تطوّر اللغة خلال الزمن تكتسب معنى آخر وتشرح فكرة أخرى وعلى هذا فإن ما نعنيه هو تغيير الكلمات لمعانيها "[32]

و يقول أولمان أيضا "لقد سبق أن عرفنا المعنى بأنه علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول ... وعلى هذا يقع التغيير في المعنى كلّما وجد أي تغيّر في العلاقة الأساسيّة" [33].

و هذا يعني أنّ معنى الكلمة لا يمكن أن نتبيّنه إلا من خلال العلاقة بينها وما يجاورها أي لا يمكن تمثّل دلالة الكلمة إلاّ وهي في النّظام أي في النّظم على حد عبارة عبد القاهر الجرجاني [34] ونعني به السياق اللغوي الذي ترد فيه الكلمة في النص وكذلك السياق الخارجي المحيط بالكلام من ظروف وثقافات وظواهر اجتماعية ونفسية وغيرها .

وعلى هذا الأساس فإن للكلمة دلالات عدة منها الدلالة الأولى و الأساسية و هي الدلالة في وضعها المطلق ثم تأتي الدلالات السياقية والدلالات المجازية والدلالات الاجتماعية والدلالات العلائقيّة مثل الترادف والتضاد وغيرها. يقول عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز":"الألفاظ لا تفيد حتى تؤلّف ضربا خاصّا من التأليف" .

فللكلمة إذن معنى أساسيّ و هوالمعنى المعجميّ وذلك وجه واحد من وجوه دلالاتها الممكنة وعادة ما تقتصر تلك الدلالة على ما تمثله اللفظة في العالم الخارجي.

وللكلمة معنى سياقي وهو الأهم عند اللغويين القدامى والمحدثين من أمثال "تشومسكي" و"فندريس" و"فيرث" و"سبنس"، فجميع هؤلاء يرون أن إدراك الدلالة لا يكون إلا عن طريق السياق الذي به يُفهم الغامض من الكلام وبه ندرك خطابات عدم التفاهم إذ " أن الدلالة عندهم (أهل العربية) في فهم المقصود لا في فهم المعنى مطلقا" [35] على حدّ عبارة ابن قيم الجوزية، وهذه الدلالة نتوصل اليها من اجتماع صنفي مكونات السياق اللغوي و نعني بهما :

-السياق المعجمي: الذي من خلاله نتبيّن دلالة الكلمة من حيث هي وحدة معجمية "فلا معنى للكلمة المنفردة إلاّ في العبارة"[36]

-السياق النحوي: الذي من خلاله نتبيّن موقع الكلمة التركيبي داخل الجملة.

و نتبين دلالة الكلمة أيضا وهي موجودة في سياقها الخارجي محاطة بمختلف مكوناته المتمثلة في كل ما يصاحب الكلمة من قرائن لفظية وحالية ومواقف تساعد على إدراك المعنى وتوضيحه[37]، يقول عبد القاهر في هذا المعنى رابطا بين مختلف عناصر الحدث الكلامي من متكلم وسامع وخطاب ودورها في إرساء دلالة الكلمة :" الدلالة على شيء هي لا محالة إعلامك السامع إياه، وليس بدليل ما أنت لا تعلم به مدلولا عليه وإذا كان كذلك وكان مما يعلم بداءة المعقول أن الناس وإنما يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده، فينبغي أن ينظر الى مقصود المخبر من خبره وما هو ؟ أهو أن يعلم السامع وجود المخبر به من المخبر عنه؟ أم أن يعلمه إثبات المعنى المخبر به للمخبر عنه"[38] ذاك ما نجده اليوم لدى المحدثين أمثال بيار جيرو الذي يرى أن للكلمة أكثر من معنى نظرا للتداعيات التي تحدثها أثناء الاستعمال [39].

علما أن دراسة دلالة الكلمة دراسة علمية لدى اللغويّين المحدثين بدأت لدى العالم الفرنسي ميشال بريال في أواخر القرن التاسع عشر (1897) وذلك من خلال كتابه الذي درس فيه قضية المعنى وسمه بـ" مقالة في (Essai de semantique) السيمانتيك"، و نشير كذلك الى اللغويّين الإنكليزيين

أوجدن و ريتشاردز اللذين ألّفا كتاب "معنى المعنى" وقد اهتمّا فيه بمسألة المعنى و تمثّلا هذه القضية تحت اسم المثلث الأساسيّ [41]

Signifiéالمدلول

Signifiantالدال referentالمرجع

و هذا النظام غير معلل أي اعتباطي[42] فالعلاقة الألسنية هي اعتباطية [43]، ويرى السلوكيون مثل بلومفيلد أن اللغة سلوك إنساني فالكلمة لها معنى الموقف الذي يحدث فيه الكلام فاللغة عنده"مجموعة عادات صوتية يكيفها حافز البيئة"[44] فاللغة تستجيب لشعور معين و بعيدة عن كل تفكير.

ولكن رغم اختلاف رؤى وتصورات علماء الدلالة في تعريف الكلمة وفي إعطائها مدلولها، فإنهم وجهوا العملية الدلالية نحو مسارات جديدة أعانوا بها المعجميّين في تيسير عملهم في تعريف الكلمات وطوروا هم بدورهم العمل الدلالي إذ تجاوزوا البحث في دلالة الكلمة للبحث في دلالة النحو والتركيب باعتبارها عوامل لسانية تستخدم للتواصل والإبلاغ. وهو العمل الذي بدأه سيبويه في كتابه إذ تناول الكلمة في التركيب ويمكن أن نورد من كتابه أمثلة عديدة مثل حديثه عن المسند وعن معاني الحروف مثال ذلك :أين زيد، وكيف عبد الله...فمعنى أين: في أي مكان، و كيف: على أية حالة..."[45] ونذكر كذلك عبد القاهر الجرجاني في مؤلفه "دلائل الإعجاز" حيث درس قضايا نحوية وتركيبية عدة دراسة دلالية تطرّق فيها الى دلالة الكلمة وبيّن أن معنى الكلمة لا يمكن أن ندركه إلا وهي في التركيب وأنّ التركيب في حدّ ذاته له معنى مخصوص يجعل للكلمة معنى غير الذي يمكن أن يكون لها إذا وردت في تركيب آخر وقدّم لذلك أمثلة من التقديم والتأخير ومن الحذف والإضمار ومن الفصل والوصل وغير ذلك من التراكيب [46]

إن قضية التعريف التي جوهرها النظر في المعاني والدلالات ليست من عمل المعجميين فحسب بل هي من مشاغل مختلف اللغويّين لاسيما الذين يهتمون بمختلف أنواع الخطابات سواء المكتوبة أو خطابات التفاعل حيث يكون للذهن حضور هام في صنع الخطاب وإدراك المعنى من خلال إدراك بناها التركيبية. ذاك ما أشار إليه نوام تشومسكي في حديثه عن مسألة الكفاية اللغوية التي تمكّن من التوصّل الى نسج جمل كثيرة وجديدة بواسطة ما يحمل ذهنه من قواعد لغوية [47] وهو ما يفسره ريمون طحان في قوله:" إن البنى السطحية نتيجة آلية وميكانيكية لبنى كانت في الأعماق ودفعتها اللغة الى السطح" [48].

خاتمة:

إنّ للدلالة المعجمية والسياقيّة صلة كبرى بتوجيه المعنى في الخطاب، إذ لا يمكن أن نحلّل خطابا مّا أو أن ننشئ خطابا دون الإلمام بدلالات الألفاظ ومعانيها، أي دون التوسّل بجهاز معرفيّ من عناصره الأساسيّة ما نكتسبه من الأعمال المعجميّة التي تقرّبنا بأكبر قدر ممكن من مختلف صنوف الخطاب عن طريق عمليّة " التعريف " التي تعلن عن المعاني التي توحي بها الكلمات عبر الأمثلة والشواهد، لذا لابدّ من توفّر قدر من المعرفة المعجميّة بتلك الدلالات في مستوى أوّل، فدلالات الكلمات كما يحدّدها المعجم تعتبر علامات ثابتة في سير الكلمات التزاما بالنظام النحوي الذي يهيّئها لتعطي معنى كلّيا للكلام تنتفي فيه الحدود الدلالية للمعجم وتنصهر الألفاظ بدلالاتها في بوتقة المعاني المكوّنة لكامل الخطاب، فاستحضار الدلالة المعجمية للكلمات مرحلة

تأسيسيّة لإنشاء النص ولقراءته، لكن الالتزام بالدلالات يحول دون تحقيق خطاب يرضي صاحبه ويقنع متقبّله، فالخطاب ينفي بطبيعته الحدود الدلالية للكلمات منفردة أي معزول بعضها عن بعض، لذا لابدّ من معرفة لغويّة نحويّة و بلاغية تجمع معاني الكلمات في ما بينها وتنظّمها في كتلة موحّدة هي "الخطاب"، فالخطاب مرتهن إلى صنوف معرفية لغويّة مختلفة معجميّة ونحويّة وبلاغيّة وسياقيّة تتظافر ويتجلّى مفعولها سواء ساعة الإنشاء و البثّ أو ساعة القراءة والتقبّل .

الإحالات والهوامش:

1 ابن منظور (1994)، لسان العرب، دار صادر، مادة (خطب) بما هو " مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر في مقام التواصل" وانظر: سارة ميلرز (2016) : الخطاب، ترجمة عبد الوهاب علوب ، المركز القومي للترجمة ، مصر 2016، ص5 وما بعدها.. كذلك انظر: جمعة صبيحة، تحليل الخطاب في التراث اللغوي والتفكير اللساني الحديث، نقوش عربية، تونس، 2016، المقدّمة.

2 - نظريته في النظم من خلال ما جاء خصوصا في كتابه "دلائل الإعجاز"

3 حبيب النصراوي (2009) : التعريف القاموسي (بنيته الشكلية و علاقاته الدلاليّة)، مركز النشر الجامعي، تونس.

4 عبد السلام المسدي(1986): اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص81.

5 منقور عبد الجليل (2007) : علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، نشر اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

6 لويس معلوف (1995)، المنجد في اللغة و الأعلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، و القاموس المحيط للفيروز أبادي، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، ص2-4

و انظر د.علي القاسمي :المعجم و القاموس (دراسة تطبيقية في علم المصطلح) في مجلة اللسان العربي. http://www.arabization.org.ma/magazinefile

7 - المنجد.

8-المعجم الوسيط .

9- ابن منظور (2003)، لسان العرب، دار صادر للنشر.

10-لاروس

11 - لويس معلوف، المنجد في اللغة و الأعلام، المطبعة الكاتوليكية، بيروت.

12 - المعجم الوسيط (2011)، مجمع اللغة العربية، ط5، القاهرة.

13- بسام بركة ومحمد دبس، لاروس الجيب الفرنسي، هيئة أكاديميا ، بيروت، لبنان.

14ماتوري (جورج) :"تاريخ المعجم الفرنسي"، ص228

15 المعجم الوسيط

16 ابن سينا (1982) : منطق المشرقيين، دار الحداثة، بيروت، ص31

17-ابراهيم أنيس (1972) :دلالة الألفاظ، مكتبة أنجلو المصرية، ط2 ، مصر، ص 161-162

18 - الفيلسوف الألماني (انظر :قصة الفلسفة الغربية. جوتفريد ليبنيز العقلاني ولوك التجريبي: لمحمد زكريا توفيق ، الحوار المتمدن ،عدد 2877 ، 2010، محور الفلسفة.

19 ليبنيز ص231

20- مادة عرف في المعجم الوسيط.

21 من التجارب ما أثبت لي عكسية نتائج المعجم اذ كثرت فيه التعريفات للكلمة الواحدة.

22- مادة صفد.

23 نفسه.

24 محمود فهمي حجازي، المعجمات العربية وموقعها بين المعجمات العالمية، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب – الكويت، فيفري 2002، ص 18.

25- ابراهيم بن مراد ،" المعاجم العلمية العربية المختصة ودور الحاسوب " – مجلة "اللغة العربية"، الجزائر، ع 4، 2001.

26 – نبيل علي (2001) : الثقافة العربية وعصر المعلومات, سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ص 266

27 أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة للنشر و التوزيع، ط1، بيروت، لبنان، ص36

28- المصدر نفسه ص37 و انظر :

-Nida , Eugene(1974) " Semantic Components in Translation Theory ." In G . E . Perren and J. L . M . Trim (eds) . Applications of Linguistics .) Componential analysis of meaning(. Cambridge : Cambridge University Press ,p13

29- سيبويه(1977) :الكتاب ، مكتبة الخانجي، ط2، مصر،ج1 ص282

30-نفسه ج4 ص 14

31مهدي أسعد عرار :العربية:الثابت و المتحول بين السابق و اللاحق دلالة الكلمة العربية أنموذجا، جامعة بيروت، فلسطين، مجمع اللغة العربية الأردني.

32 -L. Jonathan Cohen (1966) : the diversity of meaning ; London, Methuen

33http://www.bukja.net/archives/30491 أدب لغتي هويتي بحث"دلالة اللفظ بين المعجم والسياق."

34 نظرية النظم كما حددها عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" و هو يفسر كيفية إدراك الدلالة من التركيب.

35ابن قيّم الجوزية (1982) ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم و الإرادة ، دار نجد للنشر والتوزيع ، الرياض .

36 جورج مونان (1984)، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين ، ترجمة بدر الدين القاسم، داماس،ص69.

37 خولة بن الدين، دلالة اللفظ بين المعجم والسياق، دراسات عليا ،جامعة وهران ،الجزائر.

38 دلائل الإعجاز ص642

39بيير جيرو (1988)، علم الدلالة ,ترجمة منذر عياش ، دار طلاس ، دمشق.

40- أحمد مختار (1988)، علم الدلالة، عالم الكتب، ط2، بيروت، ص22 و انظر كذلك

- Michel Bréal (1997): Essai de semantique : (science des significations). Front Cover. Michel Bréal. Hachette .

41 كلود جرمان و ريمون لوبلان(1997) ، علم الدلالة، ، ترجمة نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ص 16 وانظر كذلك كتاب :

- Ogden C. K. ' Richards I. A.(1923 : The Meaning of Meaning A STUDY OF THE INFLUENCE OF LANGUAGE UPON THOUGhT AND 0F THE SCIENCE OF SYMBOLISM ; new York .

42 أحمد محمد قدورل (1984)، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق ، سوريا، ص28

43 فردينان دي سوسير (1986)، محاضرات في الألسنية العامة لفردينان دي سوسير، ترجمة يوسف و مجيد النص، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، ص89

44 ميشال زكريا (1983) : الألسنية- علم اللغة الحديث – المبادئ و الأعلام، ط2، بيروت، لبنان، وص73

45 الكتاب لسيبويه فالأمثلة موجودة في كل أبوابه.

46 صالح عيد (1994) : التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،

47 Noam Chomsky (1975): Questions de sémantique, Seuil.

48 ريمون طحان (1966) :الألسنية العربية ،دار الكتاب اللبناني، ط2, ج1و2 , و انظر كذلك "علم الدلالة أصوله ومباحثه".

مراجع البحث:

- أحمد محمد قدور (1984)، مبادئ اللسانيات، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا.
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط 1، مكتبة دار العروبة للنشر و التوزيع، بيروت ، لبنان.
- ابراهيم أنيس (1972)) :دلالة الألفاظ، ط2 مكتبة أنجلو المصرية، مصر .
- ابراهيم بن مراد،" المعاجم العلمية العربية المختصة و دور الحاسوب " – مجلة "اللغة العربية"، الجزائر، ع 4، 2001.
- ابن قيّم الجوزية (1982) : مفتاح دار السعادة و منشور ولاية العلم و الإرادة ، دار نجد للنشر والتوزيع، الرياض.
- جورج ماتوري (1968): "تاريخ المعجم الفرنسي" ، لاروس.

- جورج مونان (1984) :تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدر الدين القاسم، داماس.
- حبيب النصراوي (2009) : التعريف القاموسي (بنيته الشكلية و علاقاته الدلاليّة)، مركز النشر الجامعي، تونس
- خولة بن الدين: دلالة اللفظ بين المعجم والسياق، دراسات عليا، جامعة وهران، الجزائر.
- ريمون طحان (1966)، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، ط2، ج1و2.
- سارة ميلرز (2016)، الخطاب، ترجمة عبد الوهاب علوب ، المركز القومي للترجمة ، مصر.
- سيبويه (1977)،الكتاب ,ط2، مكتبة الخانجي، مصر، ج1
- صالح عيد (1994) : التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- صبيحة جمعة (2016)، تحليل الخطاب في التراث اللغوي والتفكير اللساني الحديث، دار نقوش عربية، تونس
- عبد القاهر الجرجاني (2008) : دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر.
- عبد السلام المسدي (1986)، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- علي القاسمي، المعجم والقاموس: دراسة تطبيقية في علم المصطلح، مجلة اللسان العربي، عدد 48.
- فردينان دي سوسير (1986)، محاضرات في الألسنية العامة لفردينان دي سوسير ، ترجمة يوسف و مجيد النص ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر.
- كلود جرمان وريمون لوبلان (1997)، علم الدلالة، ترجمة نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا.
- محمد زكريا توفيق :قصة الفلسفة الغربية .جوتفريد ليبنيز العقلاني –لوك التجريبي – الحوار المتمدن- عدد 2877 – 2010، محور الفلسفة.
- محمود فهمي حجازي (2002)، المعجمات العربية وموقعها بين المعجمات العالمية ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب – الكويت.
- منذر عياش (1988) علم الدلالة، ترجمة منذر عياش، دار طلاس، دمشق.
- منقور عبد الجليل (2007)، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ، نشر اتحاد الكتاب العرب ،دمشق.
- مهدي أسعد عرار، العربية: الثابت و المتحول بين السابق و اللاحق دلالة الكلمة العربية أنموذجا ، جامعة بيروت ,فلسطين، مجمع اللغة العربية الأردني.
- ميشال زكريا (1983) : الألسنية- علم اللغة الحديث –المبادئ و الأعلام، ط2، بيروت، لبنان.
- نبيل علي (2001) : الثقافة العربية و عصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

المعاجم و القواميس :

- ابن منظور (1994 - 2003)، لسان العرب، دار صادر للنشر.
- بسام بركة ومحمد دبس، لاروس الجيب الفرنسي، هيئة أكاديميا ، بيروت، لبنان.
- الفيروز أبادي (1995)، القاموس المحيط، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع .
- لويس معلوف، المنجد في اللغة و الأعلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
- المعجم الوسيط (2011)، مجمع اللغة العربية، ط5، القاهرة .
- -Larousse français

المراجع الأجنبية:

- -Eugene Nida(1974); " Semantic Components in Translation Theory ." In G . E . Perren and J. L . M . Trim (eds) . Applications of Linguistics .) Componential analysis of meaning(. Cambridge : Cambridge University Press
- john Lyons (1977) : sémantics, Combridge University, Press .
- J.R Firth (1957) , personality and language in society ,Reprinted in Firth

- Kess , Joseph , F(1976) . Psycholinguistics : Introductory Perspectives . London : Academic Press INC
- Leonard Bloomfield, « Sentence and Word », Transactions and Proceedings of the American Philological Association, vol. 45
- L. Jonathan Cohen(1966) : the diversity of meaning ; London, Methuen .
- Michel Bréal (1997) : Essai de semantique : (science des significations). Front Cover. Michel Bréal. Hachette .
- -Noam Chomsky(1975) : Questions de sémantique, Seuil .
- -Ogden C. K. ' Richards I. A. (1923) : The Meaning of Meaning A STUDY OF THE INFLUENCE OF LANGUAGE UPON THOUGhT AND 0F THE SCIENCE OF SYMBOLISM ; new York .
- Palmer , F , R . (1976) . Semantics . Cambridge : Cambridge University Press .

المواقع الالكترونية:

- http://www.bukja.net/archives/30491

لغتي هويتي أدب – بحث "دلالة اللفظ بين المعجم والسياق."

علي القاسمي :المعجم و القاموس (دراسة تطبيقية في علم المصطلح) في مجلة اللسان العربي.

- http://www.arabization.org.ma/magazinefile